هذا ما عن لنا الآن من مهمات شروط الدعوة وآدابها فاذا اقترحنا على فضيلة شيخ الجامع الازهر أن ينتخب بمساعدة مجلس ادارته طائفة من نجباء المجاورين للاستعداد للدعوة والقيام بشروطها وآدابها هل ينظر فى اقتراحنا ويجيب طلبنا ؟؟ ام يقول ان هذا ليس من وظيفة الازهر ؟؟ واذا فرضنا ان شيخ الجامع الازهر لم يلتفت لهذا الطلب ولم يصغ لهذا الاقتراح وهو الملقب بشيخ الاسلام فهل نطلبه من المستر دنلوب سكرتير المعارف فى مصر والقابض على أزمة المدارس ؟؟ اجيبونا يا اولى الالباب . ولكم الاجر والثواب . والا فلنا يجب قبل كل شىء دعوة المسلمين الى الاسلام حتى اذا قبلها الكثيرون يوجد من يغار على الدين ويقوم بحقوقه ويسعى فى اعلاء كلمته . وتعميم هدايته . وهذه هى الدعوة التى لا يمكن شرحها فى الجرائد وانما توكل الى عمل العاملين . وسعي المصلحين . والله ولى المتقين .

باب التوسع فى التعليم

﴿ أمالي دينية — الدرس الرابع عشر ﴾

«القضاء والقدر»

م (٤٠) شأن هذه العقيدة — هذه المسئلة من توابع البحث فى العلم والارادة وهي الفتنة التى ابتليت بها الامم فوقعوا فى بحار الحيرة تدافعهم أمواج الشكوك ويتلقاهم آذيُّ الشبهات (اى موجها) حتى غرق فيها اكثر الخائضين ونجا الاقلون . ومن عجيب امرها ان العامة اعلم بها من اكثر الخاصة . وان الأميين اقرب الى اليقين بها من الكاتبين . وان

شئت فقل ان الجهل بحقيقتها تابع لسعة العلم بمباحثها فكلما زاد الانسان نظراً فيها زاد عماية عنها لان الخفاء كما يكون من شدة البعد يكون ايضاً من شدة القرب ألا ترى انك اذا وضعت على عينيك صحيفة لا تبصر خطها ولا تراه ولا تقدر على قراءته وانما علمنا بالمدارسة والمذاكرة . والمناقشة والمناظرة . ان مايعتقده العلماء فيها هو عين مايعتقده الجهلاء ويمتاز الجهلاء بأن نفس اعتقادهم لا زلزال فيه ولا اضطراب . ولا شبهة تغشاه ولا ارتياب . واما العلماء فبعد قراءة الكتب والرسائل . وتحرير الحجج والدلائل . يقول بعضهم ان هذه المسئلة يجب ان تؤخذ هكذا بالتسليم اى يجب الرجوع فيها الى ماعليه العامة . ومنهم من يقول انها لا تنحل الاَّ بكشف الحجاب والارتفاع الى مقام العارفين بالله تعالى . والمنقول عن اهل هذا المقام المشهود لهم بالولاية والكشف ان منهم من صرح بأنها لا تنحل الا فى الآخرة . هذا مجمل امرها عند المسلمين وما كانت الحيرة فيها عند غيرهم اقل منها عندهم

م (٤١) سبب الخلاف والنهي عن الخوض فيها — لماذا كان شأن هذه العقيدة مخالفاً لسائر العقائد حتى ان الجاهل احسن حالاً فيها من العالم ؟ ولماذا كانت سعة العلم فيها من اسباب الجهل بها ؟ الجواب عن هذين السؤالين واحد وهو انها فى نفسها بديهية عوملت معاملة النظريات والبديهي كلما زاد البحث فيه بعد عن الادراك فهو كالشيء بين يديك تتوهمه بعيداً فتذهب عنه الى حيث يقودك الوهم فكلما اوغلت فى السير زدت فى البعد وصار العناء فى عودتك اليه شديداً . واقناعك بأنه وراءك امراً بعيداً . ومن لم يمر هذا السير يكفيه استلفات النظر . ورجع البصر . وهذا هو مرادنا

بالجاهل بهذه المسئلة وما اثقلوها به من النظريات والتدقيقات الفلسفية . ولا تفهم منه ان العلم الحقيق بها محصور فى الجاهلين . فلقد اهتدى اليه كثيرون من العلماء والعارفين . وكان عليه جماهير الصحابة والتابعين . حتى حدثت بدعة الكلام والخوض فى القدر على ما كان عليه الامم الاخرى وانفتح على الامة باب المجادلات النظرية التى كان من امرها ماقصصنا عليك بعضه . وهذا هو السر فى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض فى القدر ونهى الصحابة واكابر الائمة عنه أيضاً . روى الترمذى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى احمرّ وجهه كانما نُفِيءَ فى وجنتيه حب الرمان فقال أبهذا امرتكم ام بهذا أرسلت اليكم ؟ انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الامر عزمت عليكم عزمت عليكم ان لا تنازعوا فيه » اي اقسمت عليكم أو اوجبت عليكم ذلك . وروى ابن ماجه نحوه من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده . وفى حديث الخطيب وابن عدى « عزمت على ان لا تتكلموا فى القدر » زاد الثانى « ولا يتكلم فى القدر الا شرار امتى فى آخر الزمان » وعند الطبرانى فى الاوسط والحاكم فى المستدرك نحوه ولا حاجة مع هذا لسرد الآثار فى النهى عن الخوض فى القدر .

م (٤٢) ماهية الخلاف والمختلفون — الخائضون فى المسئلة فريقان فريق حاول الوقوف على سرّ الخلق والايجاد وكيفية تسخير الله تعالى قدرة الانسان وارادته اللتين وهبهما له لاحداث افعاله فانهم استشكلوا وجود خليفة فى الارض يعمل بقدرة تنبعث عن ارادة تسترشد بعلم بحيث يكون مختاراً فى عمله له مشيئة فى العمل والترك ولكنه مع هذا غير خارج

عن مشيئة الله تعالى وعلمه كأنهم رأوا ان هذا النوع من الخلق محال لا يدين لقدرة الله تعالى فاستنكروه او كأنهم زعموا انهم اكتنهوا سر الخلق فى سائر الاشياء ولذلك لم يشتبهوا فى النبات من نجم وشجر كيف يأخذ كلٌّ من معادن الارض وموادها ما يحتاج اليه لنموه وحفظ نوعه على نسب كيماوية مخصوصة يعجز اعظم الكيماويين عن تقديرها وتأليفها وإعطائها للنبات على الوجه الذى تأخذه ولو ثبت لهم ان الله اعطى النبات شعوراً وقصداً بهذا العمل لوقعوا فى الحيرة وان كان ادعى الى نفي الحيرة . ثم انقسم هذا الفريق الى خصمين اختصموا فى ربهم وفى انفسهم كان جل خصامهم فى الالفاظ يقول بعضهم ان استقلال الانسان فى عمله يقتضى انه خالق له وهو ذهاب الى تعدد الآلهة ويقول الآخرون ان انكار اختيار الانسان وسلب الارادة عنه فى عمله هروباً من ألفاظ تستنبط بالاستلزام انكار البداهة وسلب الوجدان ولا يصح مع نفيهما دليل ولا برهان . وفيه تخطئة الشرائع وتكذيب الوحي وقول بأن التكليف عبث والجزاء على الأعمال لغو اذا لم تقل ظلم وامثال ذلك مما لا نطيل به للنهى عنه من الشارع ولأنه مثار الشبهة ومولد الحيرة

وفريق آخر لم يبال ببداهة ولا وجدان . ولم يلتفت الى حجة عقلية ولا برهان . ولم يتأمل حكمة التكليف . ولم ينظر فى اكثر نصوص القرآن الشريف . ولم يتدبر غاية الامر . ولم يتبصر فى عاقبته من النفع والضر . فبث فى الاذهان حكماً . بل نفث فى الارواح سماً . حيث زعم ان الانسان مجبور فى عمله . مغلوب على امره . لا أثر لعلمه فى ارادته . ولا لارادته فى قدرته . ولا لقدرته فى عمله . وغشوا الناس بأنهم يبالغون فى

تعظيم الله تعالى وتنزيهه وتوحيده وما هو الا إبطال دينه ونسخ شريعته وانكار الاسباب التي اقام بها نظام الكون . واستدلوا على بدعتهم بآيات واحاديث تمثل احاطة علم الله تعالى ونفاذ مشيئته على أنها مع عدم دلالتها على المقصود يقابلها من الآيات والاحاديث المثبتة للاسباب وعمل العباد أضعاف اضعافها حتى قال العلامة ابن القيم ان هذه النصوص تزيد على عشرة آلاف قال « ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة » فصح لنا ان نتلو على هؤلاء الجبرية « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما اللهُ بغافل عما يعملون » . اولئك هم الجبرية الذين نزعوا من الامة روح النشاط والعمل . ورموها في هاوية الخمول والكسل . حتى داستها بقية الامم . وكادت تبتلعها بلاليع العدم . وأصابها الخزي في الحياة الدنيا . وسيرى المفرطون صدق الوعيد في الاخرى .

وما عمت هذه الفتنة في المتأخرين بعد انقراض الذين ابتدعوها الا بمساعدة خطباء الفتنة ووعاظ الجهل وسيرة تلك الفرقة التي جعلت البطالة ديناً واسم الدين تجارة تدر عليها اخلاف الربح وتفجر لها ينابيع الثروة وترفع لها اعلام الجاه والشرف . أما حقيقة المسألة وما يجب اعتقاده فيها فسنذكره في الجزء الآتي لان هذا الجزء ضاق عنه

﴿ الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٥) من هيلانه الى اراسم في ١٠ نوفمبر سنة — ١٨٥

لست ادري ايها العزيز اراسم متى يتيسر لي ايصال بقايا هذا

المكتوب اليك فقد توالت عليّ الايام وتعاقبت الشهور فى ارتقاب فرصة تمكنني من ذلك ولا ريب فى ان ما اكتبه اليك خلو من كل ما من شأنه ان يثير الحكومة ويزعجها فان اخص موضوع احب مكاتبتك فيه هو الحديث عن « اميل » وشؤنه وانت تعلم ان « اميل » ليس من المؤتمرين بالحكومة المغرين بالخروج عليها على انه لا شيء فى عواطفنا وآمالنا يدعو الى ملاحظة او يستوجب مؤاخذة واني اراعى فى مكاتيبي الحياء والاحتشام حتى انى لافضل احراقها على اطلاع غيرك عليها .

هاج غضب « اميل » صباح اليوم هياجاً شديداً بلا سبب معروف ولا بدع فى ذلك فاننا مع تبجحنا بالعقل والرزانة لا نعرف على الدوام علة جزعنا وغضبنا فقد يكفى فى اساءة خلقنا ان نرى فى السماء غيماً كريه المنظر او فى ملبسنا انثناء مضايقاً او نسمع ذبابة تطن فى اذننا والياً ما كانت علة غضب « اميل » فان جورجيا لما رأته فى هذا الهياج قدمت له مرآة جعلتها نصب عينيه فاثر ذلك فيه تأثير السحر باسكان غضبه كأنه خجل من نفسه او خاف من صورته .

انا منجزة ما وعدتك به فتجدني الآن اطالع وابحث واعمل لأتمكن يوماً ما من تعليم « اميل » وانك لو رأيتني فى هذه الحالة لنكرتني لما صرت اليه من الوقار والرزانة .

انت تعلم انى ما برحت اميل الى علم النبات فترانى الآن من بضع شهور مشتغلة بدرس ازهار الكثبان لانى وجدت من ظروف الاحوال ما ساعدني على ذلك فان النباتات الطالعة هنا على رمال الساحل فى غاية الكثرة والتنوع على ان لها بالبحر ارتباطاً كثيراً ويوجد ايضاً على مقربة

من قرية للصيادين مغارة اسمها نيولين شهيرة بدقة السرخس النابت على جدرانها وجماله فان الظل والرطوبة اللذين فيها يشكلانه باشكال متشعبة مشوشة تدعو الى اعجاب المخبرين بأحوال النباتات ولكن لسان حاله ينطق بتألمه ومرضه فهل من الآلام والامراض ما يكسو الصور رونقاً وبهاء .

بينما كنت راجعة هذا المساء من نزهة قضيتها ارتياداً للنباتين المعروف احدهما عند النباتيين بالقوريجيول الشاطئي والثاني بالارنجيون البحري او لحية التيس (١) بصرت ببنت صياد ملتصقة باحدى نوافذ بيتها تنفخ في زجاج هذه النافذة ثم تكتب بظفر انملتها الصغيرة اسم معشوقها على ما يظهر في صفحة الزجاج من الكلف فاستمالني ذلك اليها وخاطبتها فعلمت منها ان لها خاطباً في استراليا وانها ترقب مجيئه ولا تعلم متى يجيء لتحظى بلقائه فعسى ان يكون ذلك قريباً لأني اعلم ما يقاسيه الانسان من مضض الفراق . اهـ

(١٦) من هيلانه الى اراسم في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٥

بعد هذا الانتظار كله قد تكلف احد من تعرفهم فتكفل بايصال مكتوبي هذا اليك فاسلمته اليه واستودعته الرياح العاصفة والبحر المضطرب وحوادث الايام الكثيرة لأنه لا محيص من ذلك ولكني لن استودعها ابداً حبك فانه في حيازة ما لا يعتريه التحول ولا التقلب . اهـ

بشرى فقد نبت « لاميل » سنان اهـ .

(١) لحية التيس نبت كورق الكراث لكن يرتفع